

341363 - يستشكل ما أعطيه عيسى عليه السلام من القدرة على إحياء الموتى.

السؤال

في "صحيح مسلم" ورد الحديث أنّ أنفاس عيسى تكون قادرة على قتل الكفار عندما يقومون بسمّها، فإذا أعطى عيسى هذه القدرة، والقدرة على إحياء الموتى عندما يعود قرب نهاية الزمان، حينذاك ما كان الناس ليشعرون بالحيرة والارتباك بشأنه يعتقدون أنّ لديه القدرة على إعطاء الحياة الموت ، مع أنّ الله هو الذي يَهْبُ الحياة والموت؟

الإجابة المفصلة

عن التّوّايس بن سمعان، قال: "ذَكَرَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الدُّجَالَ ذَاتَ غَدَاءٍ، فَخَفَضَ فِيهِ وَرَفَعَ..."

«فَبَيْنَمَا هُوَ كَذِيلَكَ إِذْ بَعَثَ اللَّهُ الْمَسِيحَ ابْنَ مَرِيمَ، فَيَئْتِلُ عِنْدَ الْمَتَارَةِ الْبَيْضَاءَ شَرْقِيَّ دِمْشَقَ، بَيْنَ مَهْرُودَتَيْنِ، وَاضْعَافُ كَفْنِيهِ عَلَى أَجْنِحةِ مَلَكِيْنِ، إِذَا طَأْطَأَ رَأْسَهُ قَطْرَنَ، وَإِذَا رَفَعَهُ تَحَذَّرُ مِنْهُ جَمَانُ كَالْلُؤُلُؤِ، فَلَا يَحِلُّ لِكَافِرٍ يَجُدُّ رِيحَ نَفْسِهِ إِلَّا مَاتَ، وَنَفْسُهُ يَنْتَهِي حَيْثُ يَنْتَهِي طَرْفُهُ، فَيَظْلَبُهُ حَتَّى يُذْرِكَهُ بِبَابِ لَدَّ، فَيَقْتُلُهُ ... » رواه مسلم (2937).

فما أعطاه الله تعالى لعيسى عليه السلام من دلائل نبوته سابقاً لإحياء الموتى، وما سيكون من موت الكافر من ريح نفسه كما في هذا الحديث، كل هذا ليس محل اشتباه، بل أعطاه الله تعالى هذا دلالة على صدق دعوته، والعقل السليم والفطرة السليمة تستدل بهذه الدلائل على صدق أصحابها في أقواله وأحواله، ولهذا سميت هذه "المعجزات" بـ "دلائل النبوة".

والاشتباه الذي اشرت إليه في السؤال إنما يتصور لو أن عيسى عليه السلام أعطى هذه الدلائل، ولكنه سكت عن بيان الحق، فيظن الناس فيه الظنون وهو ساكت لا يبين.

لكن عيسى عليه السلام أعطى هذه الدلائل حال قيامه بما أمره به الله تعالى من الدعوة إلى توحيد الله تعالى، وتنزيهه عن الشرير وعن الولد.

كما حصل منه عليه السلام سابقاً، قال الله تعالى:

﴿وَرَسُولاً إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنِّي قَدْ جِئْتُكُمْ بِآيَةً مِنْ رَبِّكُمْ أَنِّي أَخْلَقَ لَكُمْ مِنَ الطِّينِ كَهْنِيَّةَ الطَّيْرِ فَأَنْفَخْ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِ اللَّهِ وَأَبْرَى الْأَكْمَةَ وَالْأَبْرَصَ وَأَخِي الْمَوْتَى بِإِذْنِ اللَّهِ وَأَبْنَيْتُكُمْ بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدْخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ، وَمُصَدِّقًا لِمَا بَيَّنَ يَدِي مِنَ التَّوْرَاةِ وَلَا حِلًّا لَكُمْ بَعْضُ الَّذِي حَرَمَ عَلَيْكُمْ وَجِئْتُكُمْ بِآيَةً مِنْ رَبِّكُمْ فَأَتَقْوَا اللَّهَ وَأَطِيعُونَ، إِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبِّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ﴾. آل عمران/49 - 51.

وقال الله تعالى: {وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَأْعِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ أَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ أَتَخْدُونِي وَأَمْيَ إِلَهِنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ قَالَ سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَفْوَلَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ إِنْ كُنْتَ قُلْتَهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنْتَ عَلَمُ الْغَيْوَبِ ، مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَا أَمْرَتَنِي بِهِ أَنْ اغْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبِّكُمْ وَكُنْتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنْتَ أَنْتَ الرَّقِيبُ عَلَيْهِمْ وَأَنْتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ } . المائدة/ 116 - 117

وهذا الذي سيحصل منه إذا نزل عليه السلام في آخر الزمان حكما بشرعية الإسلام، لا يقبل من النصارى إلا الإسلام، فلا يقبل منهم جزية، فيسلم من يسلم من النصارى لظهور الحق وبيانه.

وهذا من أوضح الواضحت، وأبین البینات على أنه لا إشكال حينئذ، ولا لبس؛ فإن عيسى عليه السلام، وهو نبی الله ورسوله، لن يدعو الناس في آخر الزمان إذا نزل إلى شريعته، بل لن يقبل منهم أن يتذمروا بدين النصرانية من عند أنفسهم، ومن كان على دین النصارى قبل نزوله، لن يقبل منه أن يظل عليه بعد نزول عيسى ابن مريم عليه السلام؛ فكيف يخاف الإشكال من مثل ذلك، أو يبقى فيه لبس أو شبهة.

عن أبي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: « وَالَّذِي تَفْسِي بِيَدِهِ، لَيُوشَكَنَّ أَنْ يَنْزَلَ فِيْكُمْ ابْنُ مَرْيَمَ حَكْمًا مُفْسِطًا، فَيَكْسِرَ الصَّلِيبَ، وَيَقْتُلَ الْخِنْزِيرَ، وَيَضْعَفَ الْجِزِيَّةَ، وَيَفْيِضَ الْمَالُ حَتَّى لَا يَقْبَلَهُ أَحَدٌ » رواه البخاري (2222)، ومسلم (155).

قال ابن كثير رحمة الله تعالى بعد ذكره لها:

"فهذه أحاديث متواترة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من رواية أبي هريرة، وابن مسعود، وعثمان بن أبي العاص، وأبي أمامة، والنواس بن سمعان، وعبد الله بن عمرو بن العاص، ومجمع بن جارية وأبي سريحة حذيفة بن أسيد، رضي الله عنهم.

وفيها دلالة على صفة نزوله ومكانه ...

فيقتل الخنزير، ويكسر الصليب، ويضع الجزية، فلا يقبل إلا الإسلام كما تقدم في الصحيحين، وهذا إخبار من النبي صلى الله عليه وسلم بذلك، وتقرير وتشريع، وتسويغ له على ذلك في ذلك الزمان، حيث تنزاح عللهم، وترتفع شبههم من أنفسهم؛ ولهذا كلهم يدخلون في دین الإسلام متابعة لعيسى، عليه السلام، وعلى يديه، ولهذا قال تعالى: (وَإِنْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلَّا يَنْوِي مَثَنَ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا).

وهذه الآية كقوله تعالى: (وَإِنَّهُ لَعِلْمٌ لِلْسَّاعَةِ) وقرئ: "عَلَم" بالتحريك، أي إشارة ودليل على اقتراب الساعة" انتهى من "تفسير ابن كثير" (464 / 2).

فنزوله عليه السلام فيه إزالة لشبهات من اتخاذه إلهًا.

والله أعلم.